Fakhruddin Al-Razi's concept of Place

Dr. Suleiman Al-Daher*
Dr. Ali Safi**
Ahmad Omar Kalo ***

(Received 11 / 5 / 2019. Accepted 26 / 7 / 2020)

□ ABSTRACT □

Knowing the reality and essence of the place was difficult for all philosophers and speech scholars, due to too many questions about this concept and a lack of acomprehensive definition of it. However, we find that there are indications for some of them that exceed those of others with the intuition of the mind and this is what we find it with Fakhruddin Al-Razi. He is considered to be one of the later Ash'arites, who disclosed evidences that surpassed the evidences of his predecessors.

In this research, we will deal with the specificity of Al-Razi's stand on the problem of the place in the introduction and then present some questions about this concept. As for the elements of the research, they included views and opinions regarding the topic, followed by what the essence of the place and its reality are at Al-Razi's thought, and then indicating the evidences of those saying that the place is not the distance and refuting their views And their arguments by Al-Fakhur Al-Razi then presenting the concept of emptiness inside and outside the world.

In conclusion, we concluded that Al-Fakhur Al-Razi was one of those who proved the concepts of space and emptiness, despite his hesitation in the beginnings and in the end his decisive opinion, which he determined, was taken from Plato as the dimension and the space.

Key words: four universes, emptiness, place, essences, individualism, deniers.

***Professor - Department of Philosophy - College of Arts and Human Sciences - University of Damascus**

****Assistant Professor - Department of Philosophy - College of Arts and Human Sciences - University of Damascus**

*****Postgraduate student (PhD) - Department of Philosophy - College of Arts and Humanities - University of Damascus**

مفهوم المكان عند فخر الدين الرازي

الدكتور سليمان الضاهر [*]
الدكتور علي صافي [**]
أحمد عمر كالو [***]

(تاريخ الإيداع 11 / 5 / 2019. قبل للنشر في 26 / 7 / 2020)

□ ملخّص □

إن معرفة حقيقة المكان وماهيته كانت ذات صعوبة لدى الفلاسفة وعلماء الكلام أجمعين، بسبب كثرة التساؤلات حول هذا المفهوم وعدم وجود تعريف مانع وجامع له، إلا أننا نجد هناك دلائل عند بعضهم تفوق على دلائل غيرهم ببداهة العقل، وهذا ما نجده عند الفخر الدين الرازي الذي يعتبر من المتأخرين للأشاعرة الذي أفصح عن دلائل أفاقت دلائل سابقيه.

سنتناول في هذا البحث خصوصية موقف الفخر الرازي من مشكلة المكان، في المقدمة تمّ عرض بعض التساؤلات حول هذا المفهوم، أما عناصر البحث تضمنت الاتجاهات والآراء فيما يخص الموضوع وتليها ماهية المكان وحقيقته عند الفخر الرازي ومن ثم ذكر دلائل القائلين بأن المكان ليس هو البعد وتفنيد آرائهم وحججهم من قبل الفخر الرازي ومن ثم عرض لمفهوم الخلاء داخل العالم وخارجه.

وفي النتيجة انتهينا إلى أن الفخر الرازي يُعدّ من المُثبتين للمكان والخلاء على الرغم من تردده في البدايات وفي النهاية كان رأيه الحاسم الذي استقر عليه مأخوذ من أفلاطون بأنه البعد والفضاء.

الكلمات المفتاحية: الأكوان الأربعة، الخلاء، المكان، الجواهر الفردة، النفاة.

[*] **أستاذ – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق– سورية**
[**] **مدرس – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق– سورية**
[***] **طالب دراسات عليا (دكتوراه) – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق– سورية**

مقدمة:

نال مفهوم المكان اهتمام الفلاسفة وعلماء الكلام، بحكم أنه الأسبق في الوجود عن باقي الموجودات، ولم يكن هناك تعريف جامع مانع عند الفلاسفة له رغم كثرة التساؤلات والجدالات، لذلك نشبت الخلافات حول هذا الموضوع، لكن الإمام الرازي الذي يعتبر من متأخري الأشاعرة اهتم بهذا الموضوع اهتماماً خاصاً، ففند آراء خصومه ورد عليهم. وقد بحث في أغلب كتبه مسألة المكان، رغم أن هذه المسألة ليست من المسائل التي يعالجها المتكلمون في مباحثهم، لكنه خاض في موضوعات فلسفية ونابغ فلاسفة اليونان، فترك أثراً بأنه من المتكلمين الذين مزجوا القضايا الكلامية بالقضايا الفلسفية، وهذا ما أعطى الكلام صفة فلسفية.

تنوعت الآراء فيما يتعلق بالمراد بالمكان، وبوجوده، أو انتفائه ومنهم من اعتبر المكان هو من أهم الأعراض التي تقوم بالأجسام أي الأكوان الأربعة وهي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون. أي أن الكون هو ما يوجب اختصاص الجوهر أو الجسم بغيره، أو مكانه. حيث كان أغلب العقلاء يبررون اعترافهم بوجود المكان إلا طائفة قليلة من قدماء الفلاسفة أنكروا وجود المكان، و هذا الإنكار يؤدي إلى جحد الضرورة، وكذلك أنكروا الخلاء.

والسؤال الإشكالي هو:

ماهي حقيقة المكان عند فخر الدين الرازي؟ وكيف استطاع إثبات هذا المفهوم؟ وإلى أي حدّ استطاع أن يفنّد آراء الخصوم في هذا الصدد؟ ويستدرج تحت مفهوم المكان ما يسمى بالخلاء، هل كان الفخر الرازي من المنكرين للخلاء أم من المثبتين؟ وإذا كان من المثبتين هل استطاع إبطال حجج من ينكر الخلاء؟ سواء داخل العالم أو خارجه؟ وهل رأي الرازي مأخوذ من سابقيه ام من ابتكاره بنظرية جديدة؟

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يمثل دراسة لأحد أهم الجوانب المهمة والمثيرة للجدل في الفكر الفلسفي عامة وفي الفلسفة العربية الإسلامية خاصة وهو (المكان). كما تأتي أهمية البحث لكونه يتناول شخصية فكرية عميقة مثل (فخر الدين الرازي) الذي كانت له مساهمته الفكرية الأصيلة والراسخة في تراثنا الفلسفي العربي الإسلامي.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أصالة فكر الرازي في كيفية معالجة مشكلة المكان، وذلك من خلال إثبات وجود المكان بالأدلة العقلية وتفنيد آراء الخصوم.

الدراسات السابقة:

بعد التفحص والبحث لم نجد بحثاً منفرداً في حديثه عن مفهوم المكان عند الإمام فخر الدين الرازي، ولكن هناك مقتطفات عن الموضوع فقط ولعلها مفيدة لهذا البحث.

مصطلحات ومفاهيم البحث:

1. الأكوان الأربعة: هي« **الاجتماع والافتراق والحركة والسكون**» [1] .

2. الخلاء: «**هو بعد يمكن أن تعرض فيه أبعاد ثلاثة قوائم، لا في مادة، من شأنه أن يملأه جسم و أن يخلو عنه**» [2] .

3. المكان: «**هو البعد والفضاء**» [3] .

4. الجواهر الفردة : «**هي الذرات لا متناهية التي تشكل العالم**» [4] .

5. النفاة: « **هم المنكرين لوجود المكان** » [5] .

الاتجاهات والآراء حول مفهوم المكان:

هناك آراء واتجاهات متعددة حول مفهوم وجود المكان أو نفي وجوده. نعلم بديهياً بأن الجسم الذي يتحرك من خلال حركته أنه ينتقل من جهة إلى جهة أخرى، ومن جانب إلى جانب، وهناك أناس يسمون المنتقل عنه والمنتقل إليه مرّة بالخير ومرّة الجهة ومرّة المحاذاة ومرّة الجانب ومرّة المكان.

وبالإجمال فإن « **مكان الشيء هو الذي يكون فيه الشيء و يفارقه بالحركة ولا يسعه معه غيره، وتتوارد المتحركات عليه على سبيل البدل** » [6] .

يؤكد فخر الرازي على أمر معلوم بالضرورة ثم يقول: « **إن هذا الشيء إما أن يكون أمراً ينفذ فيه ذات الجسم ويسري فيه، وإما لا يكون كذلك، بل يكون هو السطح الباطن من الجسم الحاوي، المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي** » [7] . وهذا القول لدى فخر الرازي الذي أخذه من أرسطو ليس الذي استقر عليه لأنه في آخر كتاباته استقر على قول أفلاطون اليوناني الذي لم يكن معتقده واضحاً، ولكن نجد (راسل) ينقل بأن أفلاطون كان يقول: «... **ثم هناك كائن ثالث، وهو المكان، أبدي يستحيل عليه الفناء، وهو مأوى إليه المخلوقات كلها**» [8] .

وعلى هذا القول يُفهم من أفلاطون أن المكان هو المسافة الممتدة والحاوية العامة للكائنات المحسّة، لكنّنا نجد فخر الرازي يبدي رأيه برأي أفلاطون بأن: « **المكان هو البعد والفضاء والخلاء... والقائلون بها المكان هو البعد والفضاء تارة يسمونه بالهيول وتارة يسمونه بالصورة** » [9] .

---

[1] – الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، ص٩٥.

[2] – ابن سينا، أبو علي بن الحسين بن علي، رسالة في الحدود (من كتاب تسع رسائل في الحكمة والسمعيات، مطبعة هندية بمصر، سنة ١٩٠٨م، ص٩٤.

[3] – الرازي، فخر الدين ، المطالب العالية من العلم الإلهي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، ج٥، ص١١٢.

[4] – قاسم، محمود ، جمال الدين الأفغاني حياته وفلسفته، مكتبة الانجلو المصرية، ص١١٧.

[5] – الرازي، فخر الدين ، المباحث المشرقية، مطبوع حيدر آباد، سنة١٣٤٣، ج١، ص٢٠٩.

[6] – الرازي، فخر الدين ، المطالب العالية، ج٥، ص 111.

[7] – مصدر سابق، نفس الصفحة.

[8] – غلاب، محمد ، الفلسفة الإغريقية، مكتبة الانجلو المصرية، ط٢، ص 258.

[9] – الرازي، فخر الدين، المطالب العالية، ج٥، ص١١٢.

أطلقوا عليه اسم الهيولى، فالهيولى ذاتية وباقية، وهي ذاتها مورد للأحوال المتعاقبة، والفضاء هنا أمر لا يتبدل ولا يتغير، الأجسام هي التي تتوارد عليه والفضاء يفصلها، فهو كالهيولى من هذه الناحية. وكذلك سموه بالصورة لأن الجوهر الجسماني إنما امتاز عن الجواهر العقلية لأجل كونه قابلاً لهذه الأبعاد الثلاثة، و هذه الأبعاد الثلاثة كالجزء الصوري لماهية الجسم. هذا الصحيح لما نقل عبر أفلاطون أنه كان يقول أحياناً بأن المكان هو الهيولى، وتارة يقول بأن المكان هو الصورة.

هناك رأي آخر شديد الوضوح حول مفهوم المكان، نجده عند أرسطو (تلميذ أفلاطون)، فقد عرف المكان بأنه :

« السطح الحاوي، السطح الباطن المماس للمحوي » [1] .

اعترف أرسطو بوجود المكان ولم ينكره، وأخذ برأيه كثير من الفلاسفة الإسلاميين وساروا على مذهبه، لكن الرواقيين خالفوا هذا المذهب ورأوا أن المكان فراغ متوهم تشغله الأجسام وتنفذ فيه أبعادها[2] . من هذا القول نجد بأن الرواقيين زعموا بأن المكان ليس له وجود في ذاته، ولا حقيقة له.

أما بالنسبة لمتقدمين علماء الكلام لم يعنوا بمفهوم المكان في كتاباتهم ولم يقدموا بحثاً خاصاً عنه، إلا أن أبا الحسن الأشعري قدّم في كتابه (مقالات الإسلاميين) سرداً بسيطاً عن آراء القائلين بالمكان.حيث قال الأشعري :

واختلفوا في المكان:

1. فريق قال بأن مكان الشيء ما يعتمد عليه ويكون الشيء ممكناً فيه.
2. فريق ثانٍ: قالوا بأن مكان الشيء ما يماسه، فإذا تماس الشيئان لكل واحد منهما مكان لصاحبه.
3. فريق ثالث: زعموا: مكان الشيء ما يمنعه من الهوي معتمداً كان الشيء عليه أم غير معتمد.
4. فريق رابع: ادعوا بأن مكان الشيء هو الجو والأشياء كلها موجودة فيه.
5. فريق خامس أبرزوا قولهم بأن مكان الشيء هو ما يتناهى اليه الشيء.[3]

ولكننا نجد بأن متأخري علماء الكلام قد تأثروا وأخذوا رأي الرواقيين.

هذا مجمل ما استطعنا إحصاءه في إبراز أهم الاتجاهات والآراء حول مفهوم المكان، ولكننا نجد اهتماماً خاصاً لدى فخر الدين الرازي في هذا الموضوع، ومن أبرز ذلك إصراره على تفنيد آراء الخصوم و قبل الحديث عن كيفية تفنيده لآراء الخصوم لا بدّ من معرفة ماهية المكان وحقيقته عند الفخر الرازي.

ماهية المكان وحقيقته عند فخر الرازي:

أثبت فخر الدين الرازي في حديثه عن وجود المكان وذكر بعد ذلك الأقوال في ماهيته، فهو يعتبر المكان من الأشياء غير مسبوقة الوجود والماهية ولكنها معلومة من خلال بعض الخواص والأعراض الخاصة بها. فإن المكان هو أمر يسمح للجسم أن يسكن فيه وينتقل عنه ويعود إليه بالحركة.

ولقد وقع الخلاف في وجوده، فأنكره البعض وأثبته البعض الآخر، وإن الرازي يعتبر من المثبتين للمكان.

عارض في بداية الكلام عن المكان آراء المتكلمين عنه ، حيث حصلت قفزة نوعية في فكره في آرائه المتعلقة بالمكان حيث عرفه في كتابه المبكر (المباحث المشرقية) بالتعريف الأرسطي بأنه السطح الحاوي[1].

---

[1] – كرم، يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة بمصر، ط ٤، ١٣٧٨هـ – ١٩٥٨م، ص١٤٢.

[2] – أمين، عثمان، الفلسفة الرواقية، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٥٩ هـ، ص ١٥٦.

[3] – الأشعري، علي بن اسماعيل ، مقالات الإسلاميين، مكتبة النهضة المصرية، ص١١٦-١١٧.

وعارض أفلاطون في هذا الكتاب لأنه يذهب فيه أن المكان هو المسافة الممتدة، كما رأينا الذين يقولون بأن المكان هو البعد [2].

وفي كتابه (الملخص) لم يبدِ رأيه إنما عرض قول أرسطو ورأي مذهب من زعم بأن المكان هو البعد.، ويعقبها بالنقض والشكوك سميت سائل ازعلك هل المكان ثم يتساءل ذلك، هل المكان هو البعد أم هو السطح أم غيرها؟

حيث يترك للقارئ الاختيار بعد أن يعرض له حجج الفرق ومناقضيها وذلك حيث يقول:« **وإليك الاختيار** » [3].

إن إبداء الرأي عند الرازي حول مفهوم المكان توقف مدة طويلة، ففي كتاب (التفسير الكبير) يلجأ أحياناً إلى تعريف أفلاطون وأحياناً أخرى يلجأ إلى تعريف أرسطو [4].

وما التوقف عن إبداء الرأي إلا نقطة الانطلاق النهائية، فقد اعتنق مذهب أفلاطون وابتعد عن مذهب أرسطو وهذا ما نجده في كتابه (شرح عيون الحكمة) فقد رجّح فيه مذهب أفلاطون على مذهب أرسطو[5].

وكذلك في كتابه الأخير (المطالب العالية) **يقول « أن الحق في الزمان والمكان هو قول أفلاطون من أن المكان أبعاد موجودة »** [6].

ولكن بالمجمل سواء أكان المكان هو السطح أو البعد، نجد أن الفخر الرازي يزعم دائماً بوجود المكان وليس هو موهوم. ويستدل الفخر الرازي على إثبات المكان بثلاثة أدلة :

– الدليل الأول: أورده في كتابه (المباحث المشرقية والملخص) اعتمد في قوله بأن المكان معلوم بالضرورة، والمعلوم بالضرورة وجود الفوق والسفل، وهذا يقضي بوجود المكان [7].

– الدليل الثاني أورده في كتابه (أساس التقديس): يرى أن الأجسام تختلف بالماهية وتتباين بالعدد، أما العدم فلا اختلاف أو تباين فيه لأن الجسم يشاهد ثم يغيب ليحضر جسم آخر، وهذا يتطلب مورداً مشتركاً هو المكان[8].

– الدليل الثالث: زعمه الفخر الرازي في كتابه (المطالب العالية) في رده على المتكلمين حيث يقول بأن الانتقال عبارة عن التغير في الأين، لأنه قد يوجد الانتقال وإن لم يحصل التغير في الجوهر والكم والكيف وسائر الأعراض، وقد لا يوجد الانتقال عند حصول التغيير في كل تلك الأمور، وعليه فالانتقال هو التغير في الأين أي هو تغير في نسبته إلى المكان، وذلك يوجب وجود المكان.

وفي ردّه على المتكلمين الذين يذهبون بأن المكان غير موجود بل هو ما يفرضه العقل ويقدره الوهم، يردّ الرازي عليهم بالقول: « **بأن الجبل لو انتقل من مكان إلى آخر فهذا الانتقال حاصل في نفس الأمر سواء وجد العقل أو لم يوجد فثبت بأن الفضاء والخلاء أمر موجود** » [9].

---

[1] – الرازي، فخر الدين ، المباحث المشرقية، ج١، ص٢٢٢.

[2] – الرازي، فخر الدين، الأربعين في أصول الدين، مطبوع حيدر آباد، ١٣٥٣هـ ، ص٢٠.

[3] – الرازي، فخر الدين، منطق الملخص، المطبعة الحسينية في القاهرة، ١٣٢٣هـ ، ص ٦٠-٦١.

[4] – الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، مطبوع في اثنين وثلاثين مجلداً، طبع عبد الرحمن محمد، القاهرة، ١٣٥٧هـ -١٩٣٨م، مجلد ١٣، ص١٨١.

[5] – الرازي، فخر الدين، شرح عيون الحكمة لابن سينا، دار الكتب المصرية، ص١٤١.

[6] – الرازي، فخر الدين، المطالب العالية، ج٥، ص٢٨.

[7] – الرازي، فخر الدين ، المباحث المشرقية، ج١، ص٢٢١، فخر الدين الرازي، منطق المحصل، ص٩٠.

[8] – الرازي، فخر الدين ، أساس التقديس في علم الكلام، مطبوع مصطفى الحلبي بمصر، ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م، ص٢٠.

[9] – الرازي، فخر الدين ، المطالب العالية، ج٥، ص ١٣٦-١٣٧.

ومما سبق نستنتج بأنّ رأي فخر الرازي في حقيقة المكان هو ما قاله أفلاطون بأن المكان هو البعد، والدليل على ذلك هو نقده ورده على حجج الذين قالوا بأن المكان ليس البعد في كتابه (المطالب العالية) الذي يعتبر آخر كتبه. وأثبت بأن المكان له وجود بخلاف المتكلمين الذين قالوا ليس له وجود وإنما تعقله بالوهم.

دلائل القائلين بأن المكان ليس البعد والرد عليهم:

إن أرسطو قد دعا وأقرّ بأن المكان هو السطح الحاوي بخلاف الذين قالوا بأن المكان هو البعد، كما ذكرنا سابقاً وهنا أرسطو قد احتّج بأربع حجج غايته هي إبطال القول بأن المكان هو البعد:

– الحجة الأولى: إذا كان المكان بعداً وحصول المتمكن في المكان بعداً تداخل البعدين عند الحصول، ولكن لا يمكن تداخل البعدين ،لذلك فإن المكان هو البعد ووجب أن يكون محالاً.

– الحجة الثانية: زعمه بأن البعد المسمى بالفضاء إما أن يكون حالاً في مادة و إما ألا يكون حالاً في مادة، والقسمان باطلان. فيصل القول بأنّ المكان هو البعد ففي بطلان الأول يستدل عليه هو أنه لا معنى للجسم إلا البعد الحال في المادة فإن كان الفضاء كذلك كان جسماً.

فالقول بأن المتمكن ينفذ فيه قول بتداخل الجسمين وهو محال، أما بالنسبة لبطلان الثاني فهو أن على هذا الوجه تكون طبيعة البعد مع جمع ذاتياتها ولوازمها غنية عن المادة، والغني عن المادة يمتنع أن يعرض له ما يحوجه إلى المادة فكان يجب أن لا يكون شيء من الأبعاد حالاً في المادة.

– الحجة الثالثة: يقبل البعد الحركة أو لا يقبلها، فإذا قبلها لزم البعد، وأي متحرك إنما يتحرك من مكان إلى آخر، وللمكان مكان آخر، وهذا يستلزم وجود أماكن غير متناهية، كل واحد منها نافذ إلى آخر وهذا غير مقبول من العقل[1].

العقل[1].

وباستناد أرسطو وأتباعه على هذه الحجج قد استطاعوا إبطال القول القائل بأن المكان هو البعد، ولكن فخر الرازي وغيره من المتكلمين قد فندوا ما قاله أرسطو وأتباعه في آخر كتبه (المطالب العالية) وأثبت بأن المكان هو البعد.

نجد الرازي يذكر بأن القائل المكان هو البعد فريقان: فريق يدعي العلم الضروري بأن المكان ليس إلا هذه الأبعاد المجردة ومنهم من يثبت هذه الدعوى بالحجة والبرهان.

زعم الفريق الأول: أن نعلم بالضرورة أن الجسم المشار إليه حاصل هنا ويمكن أن ينتقل من هنا إلى هناك، فهل هو نفس الجسم الحاصل هنا وهناك، أنه أمر مغاير لذات ذلك الجسم [2]. إن القسم الثاني هو المطلوب والصواب، والأول باطل لعدة وجوه:

1. إننا نشاهر الجبل حاصلاً هنا بذاته، فلو فرضنا أن الجبل أعدم من ذلك الحيز، وبقي الحيز كما هو عليه، وبنوا على هذا الحيز داراً، فصار يحكم كل من يرى الدار بأن هذا الدار حصلت على الحيز الذي كان فيه الجبل.

2. إننا نستطيع أن نتصور جسماً لا يماسه جسم آخر ولا يحيط به جسم، وبالمقابل لا يمكننا أن نتصور جسماً لا يصدق عليه أنه ههنا وهناك، فوجب أن يكون المشار إليه ههنا وهناك أمر مختلف لكون الجسم محسوس جسم آخر.

[1] – **مصدر سابق، ص١٣٥–١٣٧.**

[2] – **الرازي، فخر الدين ، المطالب العالية، ج5، ص١٤٣.**

3. عندما نقول الماء في الكون لا نقصد به الماء يسير في جسم الكون، بل الماء مماس بسطح الكون، والعاقل يعرف بأن الماء موجود في الفضاء المفترض بين طرفي الكون. وهذا يدل على أنه امتداد مغاير لامتداد الأجسام الحاصلة في ذلك الفضاء[1].

وكل ما سبق تنبيهات تدلّ على أن العلم ضروري حاصل بأنّ هذه الاحياز أبعاد ممتدة ومغايرة لأبعاد الأجسام المتحركة. ولكننا نجد الفريق الثاني القائلون بأن العلم بوجود هذه الأبعاد علم استدلالي باحتجاجهم بعدة حجج نذكر منها:

– الحجة الأولى: لو كان المكان هو السطح الحاوي وهو ليس بعداً، وجب الحكم على الشيء الساكن في كونه ساكناً بأنه متحرك وجب الحكم على المتحرك بحال كونه متحرك على أنه ساكن وهذا ليس باطلاً، وحيث القول: إن المكان هو البعد القائم بنفسه.

– الحجة الثانية: لو كان المكان هو السطح وجب القول بأن المكان قد يزداد حال بقاء المتمكن في ذاته بحال و يوجب أيضاً أن يقال المكان يبقى كما حال انتقاص ذلك الممكن وبالمجمل يقال المكان قد يزداد وحال ما ينتقص المتمكن وما ذكر فهو باطل فالقول بأن المكان هو السطح باطل[2].

وإلى ما هناك من حجج أخرى فهذه هي مجموع الدلائل الدالة على أن المكان هو عبارة عن البعد القائم بنفسه لا عن السطح الحاوي حسب زعم فخر الدين الرازي.

الخلاء:

يعرف فخر الدين الرازي الخلاء بقوله:

«**الخلاء هو أن يوجد جسمان لا يتماسان ولا يوجد بينهما ما يماسانه** » [3].

ويعرفه ابن سينا بأنه: «**بعد يمكن أن يعرض فيه أبعاد ثلاثة قائم لا في مادة من شأنه أن يملأ جسم وأن يخلو عنه** » [4]. ومن التعريفين السابقين نستنتج بأن الخلاء هو نفس المكان ولكن بشرط أن لا تحل فيه الأجسام.

تعود فكرة الخلاء إلى الفيلسوف **(ديمقريطس)** الذي يرى العالم عبارة عن ذرات غير متناهية، تكونت من خلال تلاقيها الأفلاك وعالم العناصر، ولا يكون هذا التلاقي إلا من خلال الحركة. لذلك قال: إن الخلاء موجود حتى تتحرك تلك الذرات[5].

ولكن هناك من أنكر وجود هذا الخلاء وهو المعلم الأول (أرسطو) حيث يقول: «**أن الحركة هي حركة الأجسام لأنه ينكر الذرات تصح دون افتراض الخلاء**» [6]. وقد نفى أرسطو الخلاء سواء داخل العالم أم خارجه.

وفي هذا الصدد يعلل ابن رشد الذي يعتبر شارح أرسطو بامتناع وجود الخلاء خارج العالم بقوله:

« وليس المهم أن يقولوا: إن خارج العالم خلاء، وذلك إن الخلاء قد تبين في العلوم النظرية امتناعه لأن ما يدل عليه اسم الخلاء ليس هو شيء أكثر من أبعاد وليس فيها جسم أعني طولاً وعرضاً و عمقاً. لأنه إن رفعت الأبعاد

---

[1] – مصدر سابق، ص١٤٥.

[2] – مصدر سابق، ص146.

[3] – الرازي، فخر الدين، الأربعين في أصول الدين، مجلد2، ص32.

[4] – ابن سينا، أبو علي بن الحسين بن علي، رسالة في الحدود (من كتاب تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات)، ص94.

[5] – قاسم، محمود، جمال الدين الأفغاني حياته وفلسفته، ص117.

[6] – كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص143.

عنه عاد عدماً و إن أنزل الخلاء موجوداً لزم أن تكون أعراض موجوده في غير جسم وذلك لأن الأبعاد هي أعراض بعد باب الكمية » [1].

أما المتكلمون فإنهم يرون وجود الخلاء داخل العالم وخارجه[2]. وبالمجمل اختلف الفلاسفة والمتكلمين في الخلاء، فذهب أغلب الفلاسفة إلى نفي الخلاء سواء داخل العالم أو خارجه. ولقد تابع الفلاسفة القدماء من الفلاسفة المسلمين أمثال الكندي، والفارابي، وابن سينا وابن رشد[3].

اختلف فلاسفة الإسلام والمتكلمون في وجود الخلاء، وما هذا الاختلاف إلا إحياء لخلاف بين فلاسفة اليونان. ومسألة الخلاء تعود في أصولها إلى مسألة الجوهر الفرد، فمن اعترف بالجوهر الفرد اعترف بالخلاء، ومن اعترض وخالف صحة الجوهر الفرد عارض إمكان الخلاء.

وبالانتقال إلى رأي فخر الدين الرازي نجد بأنّه عرّف الخلاء: حصول جسمين لا يتلاقيان ولا يوجد بينهما ما يماسانه. وفي نظرة الرازي للخلاء داخل العالم نجد بأنه تحول تدريجاً كالعادة من اتباع أرسطو إلى ارتضاء ما قالوا به المتكلمون. حيث نجده في كتابه المبكر (المباحث المشرقية) مؤيداً لرأي أرسطو بنفي الخلاء و بطلانه، فقد أنكر وجوده وذكر الكثير من الأدلة لنفي الخلاء[4]. وأرفد فصلاً كاملاً للرد على القائلين بالخلاء. لكن الرازي نجده في كتابه (الملخص) لم يبقَ على هذا الرأي حيث تردد وتوقف أمام الحجج المتعارضة بين المثبتين و النفاة، إلا أنه كان أميل إلى قول علماء الكلام بالحجة التي استند إليها وهي: لو فرضنا وجود سطحين مستويين ينطبق أحدهما على الآخر بشكل كامل، ثم ارتفع الأول عن الثاني دفعة واحدة، لذلك يحصل الخلاء بين هذين السطحين، والماكن الذي حصل فيه التباعد بين الجسمين لا يملؤه أي جسم ولا حتى الهواء إلا بعد أن تصل الأطراف إلى الوسط، وهذا الوصول يتطلب فترة زمنية حتى ولو كانت قليلة [5].

يقف الرازي من هذه المسألة حائراً في بداية الأمر، لأن أدلة من ينفي وجود الخلاء مقنعة، لكنها ليست قطعية من جهة والحجة التي اعتمد عليها الرازي بوجود الخلاء قوية من جهة ثانية، والشبهة مازالت موجودة وقائمة في رأي الرازي، ولكنه اختار القول بإثبات الخلاء لأن حجة المثبتون قوية.

والدليل الذي ذكره الفخر الرازي في كتابه (المطالب العالية) في إثباته لوجود الخلاء داخل العالم بقوله:« **إن الجسم مؤلف من جواهر الفرد، وشكل الجواهر هو الكرة لأنه بسيط، فإذا انضمت هذه الكرات إلى بعضها حصلت بينها فجوات لا محال، وهذه الفجوات آية واضحة على الخلاء »** [6] .

ورأي الرازي هنا بما يخصّ الخلاء منسقٌ مع رأيه في المكان من حيث يقول: «**إن الخلاء أمر وجودي له مقدار وامتداد في الجهات، بينما بعض المتكلمين أنه عدم محصن »** [7] .

---

[1] – ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، مكتبة الانجلو المصرية، سنة 1955م، ص178.

[2] – الإيجي، عضد الدين، المواقف، مع شرح السيد شريف الجرجاني، مطبعة السعادة، مصر، سنة 1325م، ص36.

[3] – أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، ط2، 1994م، ص228.

[4] – الرازي، فخر الدين، المباحث المشرقية، ج1، ص208–228.

[5] – الرازي، فخر الدين، منطق الملخص، ص63.

[6] – الرازي، فخر الدين، المطالب العالية، ج5، ص61.

[7] – مصدر سابق، ص42–43.

وعلى هذا فإنّ الخلاء إذا كان هو البعد القابل، لأن يحل الجسم فيه، أو هو المكان بشرط خلوه عن الأجسام لم يعد هناك فرق بين المكان والخلاء إلا في الانشغال بالجسم وعدم الانشغال، فالخلاء هو المكان وبما أن الرازي قد توصل بحججه في أن المكان وجودي فالخلاء كذلك هو وجودي.

والرازي قد استقر عليه في النهاية هو إثبات الخلاء والمكان، فقد نصر هذا القول في كتبه (الأربعين – وأسرار التنزيل وفي المحصل) حيث يقول:« **الخلاء جائز عندنا وعند كثير من الفلاسفة خلافاً لأرسطو طاليس وأتباعه»** [1] .

وبالتالي يكون الرازي هو متابعاً لأصحاب الأشاعرة والمتكلمين عامة في إثبات الخلاء ورافضاً لمذهب الفلاسفة في إنكارهم الخلاء. ويذهب الفخر الرازي إلى القول بوجود الخلاء خارج العالم، فهو يثبت وجوده خارج العالم بأن لا نهاية له، بقوله: « **أنه قد حصل خارج العالم خلاء لا نهاية له بدليل أننا نعلم بالضرورة أنا لو فرضنا أنفسنا واقعين على طرف الفلك الأعلى فإنا نميز بين الجهة التي تلي أقدامنا من الجهة التي تلي خلفنا، وثبوت هذا الاختيار معلوم بالضرورة، وإذا كان كذلك ثبت أنه حصل خارج العالم خلاء لا نهاية له** » [2] . وعلى هذا نقول بأن فخر الدين الرازي يعتبر من المثبتين للخلاء داخل العالم وخارجه.

تفنيد فخر الرازي لدلائل النفاة:

ذكر فخر الدين الرازي في كتابه الأخير (المطالب العالية) دلائل الذين أنكروا الخلاء، وردّ عليهم بغاية التفنيد وإثبات حقيقة الخلاء، ومن دلائل النفاة: قولهم:

إن الخلاء الموجود بين طرفي كأس أصغر من الخلاء الموجود بين جداري الشقة، وهو أصغر من الخلاء بين جداري المدينة، وهذا الخلاء أصغر من الخلاء بين السماء والأرض، ويعني ذلك أن الخلاء قابل للمساواة وموجود وذو مقدار، وهذا المقدار إما أن يكون قائماً بنفسه مستقلاً بذاته وإما أن يكون مغاير لمقدار المتمكن بحيث ينفذ فيه مقدار المتمكن، فالأول يوجب بتداخل الأبعاد وذلك محال، أما الثاني وإذا ثبت فقد تبيّن أن الذي يظن أنه خلاء فهو ليس بخلاء بل هو جسم، فيكون الخلاء ملاء[3].

ولكن فخر الدين الرازي يفند هذا الدليل الذي اعتمده النفاة بزعمه: إن الحيز والمكان يمتنع أن يكون عبارة عن أبعاد قائمة بأنفسها مستقلة بذاتها.

وكذلك من الحجج التي اعتمدها النفاة قولهم: إذا رمي الحجر بشكل قسري إلى الأعلى فإنه يتحرك بسبب قوة المحرك إلى فوق، وقد ثبت أن هذه القوة عنما تصطدم بالهواء الموجود في تلك المسافة فإنها تبطل. ولو كان هذا القول صحيحاً نقول: لا تحدث المصادقة لو كانت المسافة خالية، لذلك يجب ألا تبطل القوة، وعندما يكون هذا القول باطلاً ثبت أن المسافة غير خالية[4]. وكانت إجابة وردّ الرازي على هؤلاء النفاة للخلاء:

بوجهين: «**الأول: أن نقول: المسافة التي بين السماء والأرض كلها خالية عن جميع الأجسام، بل نقول: أكثر هذه المسافة مملوءة من الأجسام الهوائية والأجسام النارية، وذلك يكفي في أن يصير مصادماتها سبباً لفتور القوة**

---

[1] – **الرازي، فخر الدين، منطق الملخص، ص143.**

[2] – **الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، مجلد12، ص150، راجع: فخر الدين الرازي، المطالب العالية، ج5، ص188.**

[3] – **مصدر سابق، ص167.**

[4] – **مصدر سابق، ص176.**

القسرية . أما الوجه الثاني: أن هذه الحجة إن دلت فإنما تدل على حصول الملاء لا علي أن الملاء واجب الحصول، وأن الخلاء ممتنع الوجود » [1] .

أما الدليل الثالث الذي زُعم واستند عليه النفاة بالتعبير عن قولهم هو: عندما تغمس أحد طرفي الأنبوبة في الماء ومصّ الطرف الآخر منه، صعد الماء مع أنّه ليس من شأن الماء الصعود، وما ذلك إلا أنّ سطح الهواء ملازم لسطح الماء، فامتصاص الهواء يلزم انجذاب الماء[2].

كانت إجابة الفخر الرازي والتفنيد لهذا الدليل بقوله: ما يفيد المطلوب في هذا الوجه هو إقامة البرهان القاطع على أن هذه الحالة الغريبة لا سبب لها إلا امتناع الخلاء، وهو الوجه الضعيف وتعارضها بالوجه المناسب لها والدال على حصول الماء على ما ذكرناه سابقاً بدلائل إثبات الخلاء[3].

وهكذا استطاع الفخر الرازي أن يفند آراء القائلون بامتناع الخلاء بأن الخلاء قد يوجد في بعضه، وقد لا يوجد بسبب امتلاءه بالأجسام.

الخاتمة:

نستنتج مما سبق بأنّ تعدّدت الآراء والاتجاهات حول مفهوم المكان، ولم يكن هناك تعريفاً جامعاً لدى جميع الفلاسفة وعلماء الكلام، فكلّ واحد منهم زعم بمفهومه الخاص بما ينطبق على مساره الفلسفي أو الكلامي.

ووجدنا أن الفخر الرازي قد تأرجح في رأيه لمفهوم المكان، ففي بداية كتاباته انّحاز إلى الرأي الأرسطي، وهو أن المكان هو السطح الحاوي، ولكن هذا ليس رأيه النهائي والحاسم، و ربما أيدّ أرسطو في قوله بسبب تأثره في تلك الفترة بالفلسفة المشائية، وفيما بعد قد تردد في إبداء الرأي وترك الرأي الفاصل للقارئ بعد عرض حجج المثبتين للمكان والخلاء والنفاد.

ولكن في نهاية المطاف قد انحاز إلى الرأي الأفلاطوني الذي استقر عليه في آخر كتبه (المطالب العالية) وهو أن المكان هو البعد، وأثبت وجوده وماهيته وفنّد آراء الخصوم بالحجة القوية التي سبق ذكرها، وكذلك أثبت وجود الخلاء ليس فقط داخل العالم وكذلك خارجه بعدة أدلة عقلية سليمة من كل شكّ، وفنّد رأي أرسطو ومن تبعه من الفلاسفة المسلمين الذين أنكروا الخلاء.

إن الفخر الرازي يقول بالجوهر الفرد بحدوث العالم، ويزعم بأن الفضاء قبل حدوث العالم كان متشابهاً، أي ما كان جانبين جانباً من الطرف الأعلى (فوق) وجانباً من الطرف الأسفل (تحت) ،وهذا القول جاء رداً على أرسطو، لأن الفوقية والتحتية لا يمكن أن تحصل إلا عندما يكون هناك جسم آخر، وفي حال عدم وجود الأجسام نهائياً امتنع اختلاف أجزاء الفضاء بالفوقية والتحتية، وتشابهت الأحوال بالكليّة. وعلى هذا فإن القائلين بإثبات الخلاء يدّعون بأن حصول هذا الخلاء خارج العالم لا نهاية له.

---

[1] – **الرازي، فخر الدين، المطالب العالية، ج5، ص188.**

[2] – **مصدر سابق، نفس الصفحة.**

[3] – **مصدر سابق، نفس الصفحة.**

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. الرازي، فخر الدين، الأربعين في أصول الدين، مطبوع حيدر آباد، 1353هـ.
2. الرازي، فخر الدين، المباحث المشرقية، مطبوع حيدر آباد، سنة 1343، جزأين.
3. الرازي، فخر الدين، المطالب العالية عن العلم الإلهي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، جزء خامس.
4. الرازي، فخر الدين، أساس التقديس في علم الكلام، مطبوع مصطفى الحلبي– مصر– 1354هـ– 1935م.
5. الرازي، فخر الدين، شرح عيون الحكمة لابن سينا، دار الكتب المصرية.
6. الرازي، فخر الدين، منطق الملخص، المطبعة الحسينية في القاهرة، 1323هـ.

المراجع:

1. الأشعري، علي بن اسماعيل، مقالات الإسلاميين، مكتبة النهضة المصرية.
2. الإيجي، عضد الدين، المواقف، مع شرح السيد الشريف الجرجاني، مطبعة السعادة بمصر، سنة 1325هـ.
3. الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، طبعة ثالثة، 1416هـ– 1996م.
4. أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الثانية، 1994م.
5. ابن سينا، أبو علي بن الحسين بن علي، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، مطبعة هندية بمصر، سنة 1908م.
6. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد ، مناهج الأدلة في عقائد الملة، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1955م.
7. أمين، عثمان، الفلسفة الرواقية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، سنة 1959م.
8. غلاب، محمد، الفلسفة الإغريقية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة.
9. قاسم، محمود، جمال الدين الأفغاني حياته وفلسفته، مكتبة الأنجلو المصرية.
10. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة بمصر، الطبعة الرابعة، سنة 1378هـ–1928م.